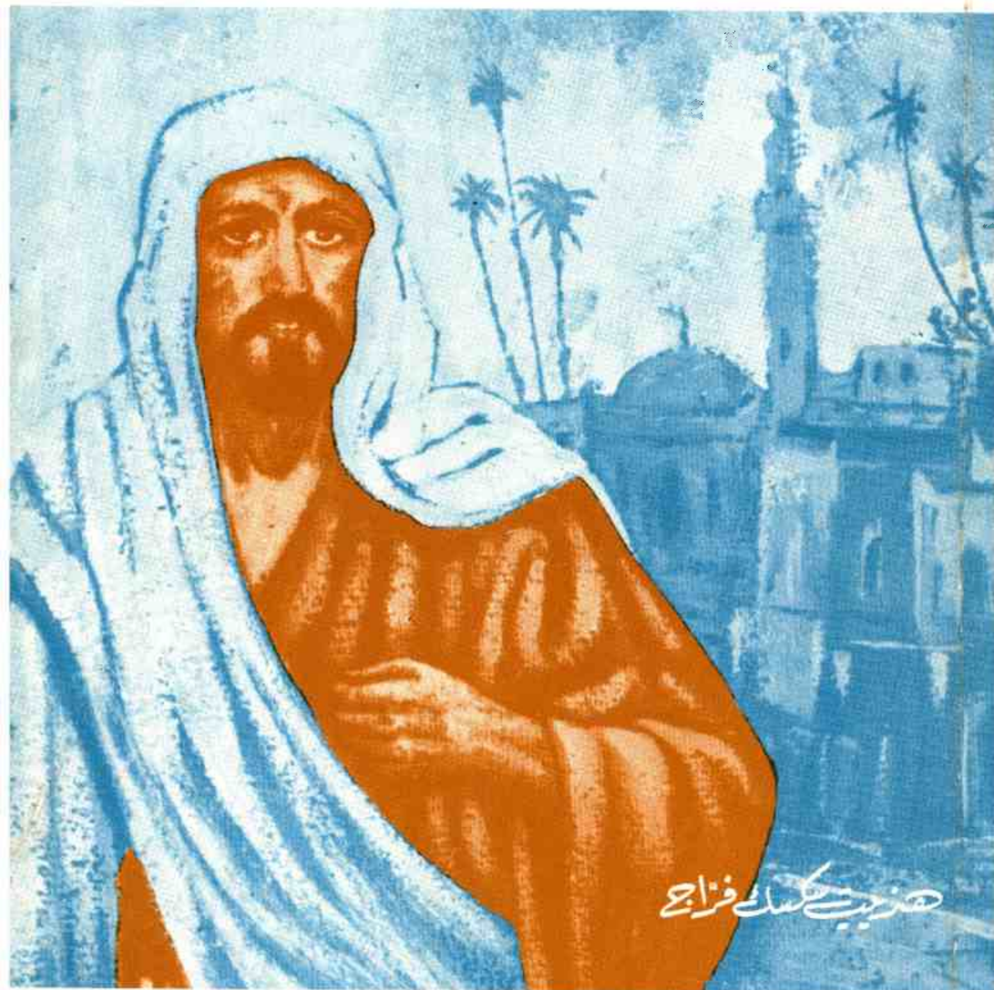
ياحزاركم

مجموعة من القصص الشعبي الليبي



دار الفرجاني

طرابلس - ليبيا

معرض طرابلس العالمي للكتاب
الدورة السادسة
طرابلس - 1996م
ابو رضيع

محمد يوسف القرشي

يا حزاركم

هنرييت سكسك فرّاج

عمر ابوبكر البرغثي

يا حزاركم

مجموعة من القصص الشعبيّ الليبيّ

دار الفرجانـــي

طرابلس - ليبيا

الطبعة الأولى ١٩٧١
هذه الطبعة ١٩٩١

الإهداء

إلى الطلبة العرب كلهم ، والليبيين منهم بنوع خـــاص ، المتعطشين إلى العلم والمعرفة ،والى كل راغب في المساهمة بالتعرف الى تراثه الادبي

اقدم هذا الكتاب

راجية المولى عزّ وجل ان يبارك المسعى ويستحث الخطى الى كل فلاح يُرجى الوصول اليه لأجل خير أبناء وبنات الأمة العربية الكريمة .

المؤلفة

د. سكسك فراج

مقـــدّمة

منذ بدء التاريخ الحديث والأمم الحيّـة عاكفةٌ على جمع الأدب الشعبي المتداوَل على ألسنة افرادها ، وتدوينه بعـد دراسته دراسةٍ وافية تـُؤدي إلى فوائد عدة ، منها : فهمُ الفرد في مجتمعه ، وملاحظة ميوله وانطباعاته ، ودراسة الانفعالات التي تجيش في صدره ، وتقديم ما يطمح إليـه خيالـُه من تصوُّرات . ومنها كذلك : إيجاد مادة مستقاة من التراث الشعبي يتسلّـى بقراءتها أفراد الشعب كبيرهم وصغيرهم ، فيجـد الفرد منهم لذة في قراءة أدبٍ رُوي في محيط ألِفـَهُ ، ثم انتشر في ذلك المحيط ودُوِّن فيه .

وقد أبدت ليبيا ـ أثناء عملي فيها خبـيرةً في مكتب تنمية المواد التدريسية ـ رغبةً في أن تسير والركب العالميّ

في مضمار جمع الأدب الشعبي، خاصة القصصيّ منه،وتقديمه إلى المجتمع أدباً شعبياً نموذجياً . ولهذا أقمنا في المنطقة الغربية من ولاية طرابلس الغرب مسابقة القصص الشعبية الليبية على أن تقيم باقي المناطق مسابقات مماثلة ، إذا قُدر لفكرتنا ان تلقى قبولاً وتصيب نجاحاً . ولقد أفسحنا المجال لكل طالب ينتمي إلى ايّ كان من الصفوف الابتدائية العليا ، والصفوف الإعدادية الأولى ، بدخول هذه المسابقة الأدبية .. على ان تكون القصة المكتوبة من القصص التي تناهت إلى سمع الطالب عن طريق أحد أقربائه أو عن طريق أحد الرواة في مجتمعه . كما أجزنا لكل طالب إدخالَ أكثر من قصة واحدة في المسابقة ، لنتيح له فرصة كافية يُظهر فيها براعته في التعبير .

وقد قام في نهاية المسابقة عدد من المعلمّين والمعلمات بقراءة القصص المقدّمة وانتقاء أحسنها ، ثم إرسالها إلينا لنقوم بدراستها واختيار أكثرها ملاءمة لتُدرج في كتاب نُعدّه لكي يقرأه الطالب قراءة إضافية . فنكون بهذا العمل قد قمنا بدور الوسيط الذي ساهم في أخذ القصة من

الطالب لإعادتها اليه. أخْذِها منه على علاّتها وعلى ما فيها من شوائب وأخطاء إملائية وإنشائية ، وإعادتها اليه في قالب جديد مشوّق يولّد في نفسه الرغبة في المطالعة الحرة .

وسيجد القارىء أن يد التحسين قد عملت في هذه المجموعة الصغيرة من القصص ، لأننا أردنا لهذه المجموعة أن تكون متحلّية بجميع ما تتحلى به عادةً مادةُ القراءة الإضافية التي نرغب أن يجد الطالب في قراءتها لذة . لذلك جعلنا لغة القصص سهلة، بحيث يتمكن طلاب الصفّين الخامس والسادس الابتدائيين من قراءتها . كما حافظنا على الطابع المحلّي وراعينا سلاسة التعبير . ثم إننا تقيّدنا بقواعد رواية القصة الشعبية ، وأضفينا على القصص مِسْحةً من الإجادة في الوصف تُشعر الطالب أنه بالاضافة إلى قراءته قصة مسلية عاديّة ، فهو إنما يقرأ مادةً تُساعده عباراتها على تقوية مَلَكته الانشائية وتُدرّبه تدريجياً على التعبير الصحيح .

ويجدر بنا في هذا الصدد أن نلتمس من المعلم لَفْتَ

نظر الطالب إلى أن القصة الشعبية تأتي على عدة أنواع منها ما يلي :

١ – **القصة الاخلاقية** : وهي التي تهدف الى تهذيب مشاعر الفرد والسموّ به إلى ذرى الكمال المنشود في المواطن الصالح (اقرأ قصة الشيخ سالم) .

٢ – **القصة الهزلية** : وهي ترمي إلى تسلية القارىء بحكايات لا تخلو من طرائف ومُلَح ، منها ما يُروى عن جهل الأغبياء ، ومنها ما يمزج الجد بالهزل بشكل يدعو إلى الضحك (أقرأ قصة عطية) . وتدخل ضمن هذا النوع من القصص ، القصصُ الهزلية التي تروى عن أحد أعلام الفكاهة العربية أمثال « جحا » وغيره ، كما تدخل ضمنها القصص الهزلية الاجتماعية التي يعالج القصّاص بواسطتها آفة اجتماعية بأسلوب مضحك.. فيتلاعب القَصّاص بمعاني الكلمات ويعمد إلى التكرار حيناً وإلى التهويل حيناً آخر ، بشكل جذّاب يسترعي انتباه القارىء أو السامع (اقرأ قصة البيضة المسلوقة) .

٣ – **القصة الخيالية** : بواسطة هذه القصة ينتقل القارىء

أو السامع إلى عالم من الخيال الخصب ' يطير على ' بساط الريح ' ويقف في بلاد الواق واق ، ويستعين بخاتم لبّيك في تلبية احتياجاته ، كما أنه يتخلص من المآزق بأعجوبة يستنبطها له خيال القصّاص،وكأنه في ذلك كلّه يعيش في عالم ممتع من الخيال الذي لا حصر له ولا حد . وهذا النوع من القصة مستحبٌ لأنه ينتقل بالعقل البشري من حدود الواقع الى آفاق جديدة تُغذّي طموحه إلى الإبداع (اقرأ قصة كريم الدين وبساط الريح) .

ويدخل ضمن هذا النوع من القصة ، تلك القصةُ التي تُتحدث عن خوارق الطبيعة . وهذه القصة وإن كانت موضع سخرية بالنسبة إلى الطالب العادي ، إلا انه يقرأها لأنها تثير فضوله ، ويتابعها لطرافتها ويسخَر من غريب ما جاء فيها من سحر وشعوذة . فالمارد يستهويه،والغيلان تضحكه،والسحر إذا ورد كان مدعاةً إلى إثارة استهزائه. (اقرأ : بضربة واحدة قتلت سبعة) في القسم الثاني من (يا حزاركم) .

٤ – **القصة التي تروى عن الحيوانات** : وهذه تروى عن حيوانات مألوفة أو غير مألوفـــة ، وعن حيوانات

حقيقية أو خيالية يتكلّم فيها الحيوان بلسان الانسان ويفكر حسب تفكيره . ان هذا النوع من القصة شائع ومستحب لما فيه من تَوْرِية ومقدرة على إسداء النصائح وذكر الحِكَم بأسلوب غير مباشر (اقرأ قصة مصيبة حمار) .

وبهذا يرى القارىء اننا حاولنا إيفاء القصة الشعبية حقها بإيرادنا نماذج مختلفة لكل نوع من أنواعها ، مع العلم بأن القصص الشعبية في الوقت ذاته تتشابه في المناطق المختلفة. إنها تتشابه ما بين بلد وآخر وما بين أمة وأخرى، بحيث يصعب على الباحثين تعيين الأصل الذي صدرت عنه القصة الواحدة . فقصة « بضربة واحدة قتلت سبعة » لها مثيلات عند عدد من أُمم العالم . وكذلك قصة « عطية » وغيرها من القصص . وهكذا نجد أن القصة الشعبية نشأت مع الشعوب المختلفة ، ترعرعت بين ظهرانَيْها واقتبست حيوية أفرادها . تشابهت تشابُهَ الانسان في طبائعه البشرية ، واختلفت في الوقت ذاته اختلاف العناصر التي تُميِّز الأمة الواحدة عن الأخرى . تشابهت واختلفت كما

انهـــا تنقّلت من محيط إلى آخر بسبب تعاقب الحروب وتنقُّل الناس من رواة وغيرهم .

وإنه ليجدر بالمعلّمين والمعلمات الذين سيقومون بتقديم هذه المجموعة من القصص إلى طلابهم ان يلفتوا أنظـــار الطلاب إلى هذه العوامل التي طرأت على قصصهم الشعبية، على أن يتيحوا للطلبة أنفسهم فرصةَ قراءة القصص قراءة صامتة ، ليشعر الطالب بلذة القراءة الفرديـة ، تلك اللذة التي قوامها الأُلفة ما بين الطالب والكتاب والنشوة المنبعثة في النفس بتأثير عبارات منمّقة ومهذبـة ، تؤدي رسالة وتفتح أمام الطالب عالماً واسعاً من المعرفة .

واللهَ اسأل أن يكلأ برعايته الحركة التربوية في العالم العربي ، إنه السميـع المجيب .

هـ. سكسك فراج

يا حزاركم ..

كانت الجدّة في ليبيا تبدأ سَرْدَ حكايتها بذكْر نداءٍ تنبيهيٍّ بسيط تدعو فيه مستمعيها إلى الانتباه ، فالإصغاء إليها . كانت تقول :

« يا حزاركم ... يا حزاركم ... كان يا ما كان وكان في ... »

عبارة بسيطة تفوه بها الجدة ، وبفعل هذه العبارة :

ينقطع الضجيج .

وترهف الأسماع .

يجلس الواقفون .

وتشخَص العيون .

ويرتفع صوت الجدة مُكرراً الدعوة إلى الانتباه قائلاً :

« يا حزاركم ··· يا حزاركم... كان يا ما كان وكان في ··· »

وإذ يدور الزمان دورته ، تبقى عبارة الجـــدة في الأذهان لما فيها من بساطة وجمال، ومن مقدرة على استرعاء الانتباه . وإنني إذ ابدأ بسرد ما تناهى إليّ من القصص الشعبية الليبية ، أراني أعتمد على عبارة الجدة ، فاقول مع من قال منذ القِدم:

« يا حزاركم ... يا حزاركم ... كان يا ما كان وكان في ليبيا رجل اسمه عطية ···

عطيّة..

إسمي عطية ، وأنا تاجر مثرٍ أغدقَ الله عليّ النعم ووهبني من خيراته ما ملأ حياتي بهجة ، ويَسَّر لي كل أمرٍ صعب . ولي زوجة ــ أطال الله عمرهــا ــ حسناء ، تغمرني بلطفها وترعى أولادي بعطفها ، وتُجمّل بيتي بحسن ذوقها . إلا أنها واأسفاه حمقاء سبّبت لي فيما مضى متاعب جَمَّة ، وحمَلَتْني على ترك بيتي هائماً على وجهي، لا أدري ماذا أفعل. ولهذه الحادثة المؤسفة قصةٌ طويلة أذكرها بشيء من الخجل .

كنت في أحــد الايام جالساً داخل مَتْجَري أراقب الناس وهم يبتاعون مما يقدّم لهم عملائي من بضاعــة ، وأشكرُ ربي على نِعَمِه ، عندما استقر رأيي على ان أُتبع الشكرَ بالعمل فأزكّي بعضَ مالي لخير المعوزين من أبناء

بلدي . فقمتُ تواً الى بعضِ الفائض من الحوائج جمعتُها وأخذتُها الى بيتي ، لأحتفظ بها إلى ان يحين شهر الصوم ، شهر رمضان المبارك ، فأوزّع الصدقات على الأرامل والأيتام ، معرباً بذلك عن جزيل شكري لله الذي شملني بخيره العميم . وأخذتُ منذ ذلك الحين أحرص على جمع الحوائج وأخْذها إلى البيت ، وأطلب من زوجتي ان تحتفظ بما أحضر لأجل رمضان .

وكانت زوجتي طيّعة ، تتناول كل ما أحمل اليها من الحوائج وتحتفظ بها في مكان أمين حرصاً على سلامتها . إلا أنها عندما لاحظت ازدياد ما أُحضر لها ، أخذت تتبرّم وتتأفف وتقول: « من قال ان على الزوجة ان تتحمّل وجود كل هذه الحوائج في بيتها لأجل رمضان .. ؟ » ثم تضيف : « ومالي ورمضان وحوائج رمضان ! »

كنت أعجب لقول زوجتي ، لا سيَّما وأنا أعلم ما أعلمه عن ورعها وطيب خلقها وحبها لخير الناس . ولكني كلّما كنت أحاول إقناعها بخطأ أقوالها ، كانت تزجرني بغضب مُتناهٍ قائلة :

« كفانا ما عندنا ، كفانا العناية بحوائجنا .. كفانا يا رجل ، كفانا ما لدينا . »

وعُدت من عملي في أحد الأيام لأجد ان جميع ما ادّخرت قد ذهب إلى غير عودة .

قالت زوجتي :

« أبشِر يا عطية ، جاء رمضان فحمّلتهُ كل شيء! »

طار صوابي إذ سمعت كلام زوجتي وهي تقول :

« جاء رمضان !! »

ومن هو رمضان ؟ وكيف تعطيه زوجتي الحوائج دون ان تستشيرني ؟

قالت زوجتي ببساطة متناهية :

« آه منك يا عطية كم تُعقّد الأمور ، جاء رمضان وأخذ الحوائج وكفى . »

ولما طلبتُ منها ان توضح لي ما حدث ، قالت بدون اكتراث :

« سمعتُ أحد المارَّة ينادي رجلاً باسم رمضان ، ففتحت الباب وناديت الرجل المدعوّ رمضان وأمطرته بوابلٍ من شتائمي . قلت له :

« لو كنتَ يا هذا صاحب مروءة لسارعتَ إلى أخذ حوائجك بدون تردد . »

وأردفتُ قائلة له :

« إن بيتي ليس مخزناً لحفظ ماكولاتك . وإن زوجي ليس بخادم ينقل الحوائج طوع أمرك . وهل تركني الرجل دون ان يحاول التهرُّب مني ؟»

وقالت زوجتي متابعة حديثها :

« إسمع يا عطية .. حاولَ الرجل التهرب مني وانتحال الأعذار .. قال انه لا يعلم شيئاً عن الحوائج ، قال إنه لا يعرفك ، وفاه بأعذارٍ واهية مـا كنت لأصغي اليها ، بل أمرته أن يحضر عربة وينقل كل شيء . وأن يفعل ذلك بسرعة وإلا أثرتُ عليه ضجة ، وطلبتُ مساعدة جيراني عليه . وهكذا رضخ الرجل لتهديدي وجاء بعربة نقَل



عطية يلوم زوجته على ضياع الحوائج

اليها الحوائج جميعها دون ان يترك منها شيئاً . وسمعتُه يتمتم بكلمات فهمت منها قوله : ويرزقكم الله من حيث لا تعلمون . »

قلت لزوجتي وأنا ما بين ضاحكٍ لهـذا الالتباس الغريب الذي حصل ، وبين باكٍ متأثر لضيـاع اموالي،

قلت :

« كفى يا هذه ، لقد كنت أدّخر الحوائج لتوزيعها على الأرامل والأيتام أثناء حلول شهر رمضان المبارك ، ولم أدخرها لإعطائها لعابر سبيل اسمه رمضان . »

نَظَرت إليَّ زوجتي نظرة بلهاء وقالت :

« أوَ تعني ما تقول ؟ »

قلت : « أجل ، وكيف أعني سواه ؟ »

قالت مولولة :

« يا خسارة أتعابنا ... يا مصيبتنا في اموالنا ... يا حسرتاه يا ويلتاه ... »

وأجهشتْ بالبكاء والعويل ، لطمت خدّيها ومزّقت ثيابها . وتبعها أولادنا فأحدثوا ضجة ما سمعت بمثلها من قبـــل . فهاجت شجوني وتفاقم عليَّ الامر وقلت :

« إنني والله يا امرأة بريءٌ منك ومنِ أفعالك. وساهيم على وجهي باحثاً منقباً ، فإن وجـــدتُ من هم في مثل حمقكُ عدت إليك ، وإلا فبلادُ الله واسعـة لمن ضاقت به أرضه . »

قلت هذا وخرجت من بيـــتي لا ألوي على شيء .

* * *

جهنم

وأدّى بي المطاف إلى قرية سرتُ مسرعاً بين بيوتها أملاً في ان أجتازها قبل المغيب ، فإذا بي أكاد أصطدم بامرأة ، وإذا بالمرأة تصرخ بوجهي قائـــلة :

« الى اين يا رجل ؟ الى اين بمثل هذه السرعة ؟ »

قلت :

« الى جهنم ! »

قالت :

« ومن اين ؟ »

قلت :

« من جهنـــم ! »

قالت :

« أرأيت والديّ هناك ؟ »

استوقفني سؤال المرأة فنظرتُ اليها وقلت :

«اتسالينني عن والدَيك ؟ »

قالت :

« نعم ، اسمُ والدي دنقـل واسم أمي رجّـابـة . أرجوك ان تخبرني بامرهما ، هل يتشاجران كعادتهما أم يعيشان بأمن ودَعة ؟ هل ياتيان عملاً ؟ هل يحتاجان إلى شيء ؟ هل هما بكامل صحتهما ؟ هـل ... هل ... ؟ »

ضقت ذرعاً بأسئلة المرأة وقلت لها ــ ولا أعـلم لماذا قلت ذلك :

«ان والدتك تخدم بعض الاغنياء ، ووالدك كنّـاس ».

وما سمعت المرأةُ قولي حتى تعلّـقتْ بي وأخذت تطلب إليّ بإلحاح ان أتلطف بأخذ بعض المال والثياب الى والدَيها .

لم أكن أرغب في أخذ أيّ شيء ، لأنني كنت أعتقد بأن أخذ المال من مثل هذه المرأة يُعَدُّ سرقة .. ولكن المرأة عندما شعرت بتردُّدي، اخذت تستعطفني وتقول :

« أرجوك يا فاعل الخير ألاّ ترفضني. »

قالت هذا وأسرعت إلى داخل بيتها وعادت بكيس وضعتْ فيه شيئاً من المال والثياب .. وألقت الكيس بين يديّ ثم قالت :

« بربّك لا تُسيء إلى والديّ بالامتناع عن أخذ هذه، كما أرجوك ان تبلّغهما تحيّاتي وتقول لهما إنني كنت أحب ان ارافقَك إلى محل إقامتهما لولا انني أرهب منظر النار ! »

وشكرتُ ربي ألف مرة ، على أن تلك المرأة تخاف منظر النار ، ولولا ذلك لتعلّقتْ بي وطلبت مني أن آخذها إلى والديها ' انا الهائمُ على وجهي هرباً من الاغبياء !

وحملتُ مرغماً كيسَ النقود والثياب التي سلّمتني

إياها المرأة ، وخرجتُ من تلك القرية لا ألتفت إلى احدٍ فيها ، خوفاً من ان ألتقي بغــبيّ آخر يوقعني بمأزق حرج لا أستطيع الخروج منه.

وما إن اجتزتُ القرية وأصبحت في خارجهـا حتى تنفّستُ الصعداء وجلست في ظــــل شجرة لكي أستريح وأفكّـر في أمري . وبعد لحظات إذا بي أشاهد فارساً يقترب نحوي ويلوّح لي بيده كأنه يريـــد بي سوءاً . وأسرعتُ إلى الكيس فأخفيته على سبيل الاحتيـــاط ، وانتظرت الرجل الى ان أقبل وابتدرني قائلاً :

« هـــل رأيتَ رجلاً يحمل كيساً من المال وبعض الثياب ؟ »

كدت أن اقول له :

« نعم ، انا هو ذلك الرجل، وإنني بريء من تبعة هذا الكيس وهذه الثياب وأنا على استعداد لتسليمها ».

إلا ان الرجل لم يمهلني لحظة لكي أُوضح له الأمر ، بل اندفع قائلاً :

« أعطتْ زوجتي كيس مالي لرجل ادّعى أنه من أهل جهنم، وسابحثُ عن هذا الرجل وأذيقه شتى ألوان العذاب . نعم ، سأجعل الرجل سخرية الناس وأفعـــل به وأفعل .. ! »

إزاء تهديد الرجل أمسكتُ عن الإفضاء بأمر الكيس والثياب ، فقلت محاولاً إخفاء علاقتي بالأمر :

« رأيت رجلاً يسير نحو ذاك المنحدر متّجهاً صوب الوادي، يحاول عبوره إلى الجهة الأخرى » .

شكرني الرجل وطلب إليّ أن أمسك بفرسه الى حين عودته ، وقام إلى ثيابه الخارجية فانتزعهـــا ووضعها في ُخرج الفرس ..

فقلتُ له :

« اسمع يا أخي ، لا تَعـْهـَدْ بالفرس إليّ .. لأنك قد تتأخر عن العودة من مطاردة الرجـــل وتضطرني الى انتظارك ، وأنا لا أحب البقاء طويلا في هذا المكان القفر . »

قال الرجل :

« اسكتْ وانتظرني قليلاً ، ساعود اليك باقـــل من نصف ساعــة . »

قال هذا الكلام واندفع نحو المنحدر . أما أنا فوقفت أراقب الرجل وهو ينحدر الى الوادي ويقطع ما فيــه من مياهٍ ويتجه إلى الجهة الأخرى..

ومضت الساعة ِتلو الاخرى وأنا أنتظر . توشّح الأفق بألوان الغياب الزاهيـــة ، وأسرعت الشمس إلى مَغيبها وراء الحقول ، ثم أقبل الليلُ وخيّم السكون على المكان، وبقيتُ انا وحيداً انتظر وأنتظر .. هـــل من الحكمة أن أستمرّ في الانتظار ؟

هل من الحكمة ان أبقىٍ وحيداً بدون سلاح أدافع به عن نفسي وبدون صديق يبددّ عني المخاوف ؟

وإذا قررت مغادرة المكان فماذا أفعل بالفرس ؟

أأتركها في مكان منعزل كهذا، وأعرّضهـــا لبطش الوحوش الضارية ؟

أأتركها غنيمة باردة للصوص الليل ؟

لا يجوز لي ان أفعل ذلك ...

إذاً ماذا يترتب عليّ أن أفعل ؟؟؟

امتطيت الفرس وقلت : « خـذ يا عطية الفرس ، وامنع عنها الأذية ولعلّـك تلتقي بصاحبها يوماً ما فتعيدها له ».

وهكذا مضيتُ في طريقي ، أحملُ كيس الدراهم والثياب : الثيابَ التي سلّـمتني إياها المرأة ، والثياب التي وضعها الرجل في داخل الخرج . مضيت مثقلاً بمال الغير، متجولاً على فرسهم ... أنا الرجل الذي لم أكن لأمدّ يدي إلى مـال أحد ، وما أساتُ الى انسان قطُّ طيلة حياتي !!

أخذتُ افكّـر في كل هذا بينما افترّتْ شفتاي عن ابتسامة عريضة كان سببها تفكيري بما سيحدث للرجل إذ يلتقي بزوجته حين عودته من مطاردة سارق الكيس .

سيقول الرجـل لزوجته :

«أبشـِري يا عزيزتي ، فقد التقيت بمن أخذ الحوائج

الى والدَيْك، ولمّا علمتُ منه بحاجتهما إلى المزيد من الثياب وإلى فرسٍ أصيلة يستعينان بها على قضاء أعمالهما ، قدّمت لهما ما عندي إرضاء لخاطرك العزيز!»

ابتسمتُ لهــذه الفكرة العابرة وقلت في نفسي « اللهمَّ أبعِد عنّي المزيد من الأغبياء فقد اكتفيتُ بمن رأيت » .

ذكاء

وتتابعت الحوادثُ عليَّ بعد ذلك بشكــل غريب .. وصلتُ مدينة آهلةً بالسكان فدخلتُ سوقهـــا واخذت بمشاهدة ما في السوق من معروضات . وبينما انا في ذلــك ، لفتَ انتباهي تجمْهُر الناس في إحدى الساحـــات . فسرتُ مع من سار إلى المكـــان واخذت أشقُّ طريقي ما بــين الجمع .. إلى ان وصلتُ إلى داخل الساحـــة . أصغيتُ ، فـإذا بصوت أجشَّ يقول :

« إقطعوا يده ، اقطعوها ولا تخافوا . لا عاش طفل شرِهٌ مثله . »

وقـــال آخرون :

« حرامٌ عليكم ان تفعلوا ذلك . إكسروا الجرة ،

وأخرجوا يد الطفل منها ، اكسروا الجرة .. بالمال لا بالعيال ! »

وزجر صاحب الصوت الأجشّ الجماهيرَ المتجمعة قائلاً :

« لن يجرؤ أحدٌ منكم على كسر جرّتي فهي مالي ، وهي إرثي من اجدادي ، وهي أحبُّ ممتلكاتي اليّ . إقطعوا يد الطفل ، فهو المذنب لإدخال يده في جرّتي ، اقطعوا يد الطفل ولا تُصيبوا جرتي بأذىً ، وإلا كنت خصمكم منذ هذه اللحظة » .

ونظرتُ إلى طفل يحاول اخراج يده من فوّهة جرةٍ كبيرة فلا يستطيع ذلك ، رأيته يبكي وأمه تُهدّئه بينما أخذ بعض اخوته يندبون سوء ما حدث .

« إقطعوا ، اقطعوا يده » صاح القوم .

و« حرام ... حرام عليكم ان تفعلوا ذلك » صاح آخرون .

و« بالمال لا بالعيال » .. ندب النسوة .

و « بالعيال لا بالمال » صاح صاحب الجرة .

وأدركتُ لساعتي انني بين قوم فيهم كثير من الأغبياء، فاقتربت من الطفل وحادثته بشيء من الحنُوّ. قلت له :

« هل يدك مليئة بشيء لذيذ يا بني ؟ »

قال الطفل :

« نعم، معي كمشة من الجوز. »

ـ اتحب الجوز ؟

ـ أحبه كثيراً .

ـ هل تريد ان أعطيك الكثير منه فتملأ جيوبك وتأخذ المزيد الى بيتك لتاكله ؟

وهز الطفل رأسه موافقاً على قبول العرض، فقلت :

ـ اذنْ ، أترك ما في يدك وتعال معي لأعطيك ما وعدتك به .

قال الطفل :

ـ لا أصدقك ، إذا تركتُ ما في يدي لا تعطيني شيئاً . لا. لن اترك الجوز يخرج من يدي بل سأخرج يدي والجوز فيها .

قال هذا واخذ يشد ويحاول إخراج يده القابضة على الجوز . عندئــذٍ أخرجتُ كيس نقودي وعرضتُ على الطفل ما فيه من الفضة وقلت :

« إحتفظْ بهـذا ريثما أبرّ لك بوعدي . »

واطمأن الطفل اليّ فرمى ما في قبضة يده من الجوز وأخرج يده بسهولة ليتناول منّـي كيس مالي ، ثم قـال :

« هات الآن ما وعدتني به . »

وما إن أخرج الطفل يده من الجرة حتى ارتفـع التهليل ، وملأ الناس الساحـــة بهتافات السرور ، كما احتضنت الأم طفلها وقبلته . اما الوالد فأمطرني بكثيرٍ من عبارات الشكر ، وسار برفقتي ورفقة ابنه إلى أحـد الحوانيت فدفع عوضاً عنـي ثمن الجوز الذي ملأ به البائع جيوب ابنه .

وبينما نحن في ذلك إذا بصاحب الجرة يُقبل فيمسك يدي ويهزّها إعجاباً بما أتيت من عمل ، وامتنانـــاً لي لمحافظتي على جرّته ، قال :



الطفل ويده في الجرّة

« شكراً لك أيهـــا الأخ ، لقد برهنت لنا على سعة اطلاعـــك وغزير ذكائك ففضضتَ المشكل على أحسن وجه ، ووفَّرت على العيال كما حافظت على الأموال ، وإنك لتستحق على ذلك ان تقـــيم بيننا كواحد منا ! »

شكرتُ الرجل على لطفه ، وتابعتُ سيري مسرعاً ، مبتعداً بأقصى جهدي عن المكان . وكيف لا أفعـــل ، وأنا الهائم على وجهي هرباً من متاعب الأغبياء !!

لا يعرف بالرجل سوى صاحبها

لم أكد أبتعد عن ذلك المكان حتى شاهــدتُ منظراً غريباً . شاهدت أناساً يجلسون حول بركة ماء وأرجُلهم ممدودة إلى الأمام .. وكل واحد منهم يشير الى رِجل الآخر ويقول :

« لعلّ هذه هي رجلي ، لعلها تلك أو تلك .. أو ربما تلك . »

وقفتُ أراقب المنظر وأضحك مما أرى ، فسمعني القوم وقالوا :

« ما بالك تضحك منا ، يحسُن بك ان تبكي لحالنا ، فقد اختلطتْ أرجلُنا وأصبح كل واحد منا غير قادر على معرفة رجليه منْ بين أرجل الآخرين . أنظر إلينا ... أحذيتنا تتشابه ، وأرجلنا تتشابه، ولو كنّا

نحسب للمستقبل حساباً لما جلسنا حول هذه البركة وسمحنا بحدوث مثل هذا الاختلاط » .

قلت وأنا أتكلف الجد :

« حقاً إن أمركم صعب، وكان يجدرُ بكم ان تفكروا بإمكانية حدوث هذا الاختلاط قبل حدوثه » .

نزل قولي على هؤلاء السُذَّج نزولَ الصاعقة فدمعتْ العيون وعبست الوجوه ، وكاد الألم المرير يصهر النفوس . قال احد الحاضرين :

« أغِثنا يا هذا ، فنعطيك ما تطلب . »

أمسكتُ بعصاي وتقدمتُ نحو أحد الرجال ، ولكزتُ إحدى رجليه ، فانتصب ووقف على قدميه كالمذعور . قلت له :

« أنظر إلى رجليك ، واحتفظ بهما ، وإياك ان تسمح لهما بالضياع . أنا أنصحك بمغادرة هذا المكان والذهاب بسرعة إلى بيتك حرصاً على سلامة رجليك » .

والتفتُّ بعد هذا إلى رجل آخر ، لكزتُـــه بطرف عصاي كما فعلت بالأول ، فانتصبَ على قدميه وأخـــذ يراقبهما بسرور ثم قال :

« حقاً لا يعرف بالرِجل سوى صاحبها !! » .

وكرّرتُ العملية مـع جميـع الحاضرين الى ان بلغت آخرهم الذي انتصب على رجليه قبـل أن ألكزه بعصاي وقال لي :

« شكراً لك يا أخي فقد أنقذتَـني بإبعاد الأرجل الدخيلة عن رِجليّ ، واعترافاً مني بجميلك أحب أن أنفرد عن إخواني بدعوتك الى بيتي لأقوم بضيافتك وأهَـبَـكَ ما تريد مما عندي » .

قلتُ :

« شكراً لك على لطفك وقد كان جزائي خيرَ جزاء ، إذ رأيتكم تنهضون واحداً واحـداً ، وكل واحد منكم يجد رِجليه ، وينتصب عليهما ، ويعود بهمـا إلى

بيته مسروراً . ان هذا لعمري خير جزاء . »

قلتُ هذا وانطلقت مبتعـــداً عن المكان ، لا سيما وأنا المعـــذّب الهائم على وجهي ، الهارب من متاعب الأغبياء .

رأس العروس

وكنت في طريقي الى نـُزْل أقضي به ليلتي ، عندما تناهى الى سمعي صوت قرع طبول . فسرت نحو الصوت ، فإذا بي أشاهد زفّـة عروس . سار الموكب فسرت معه .. وكيف لا أفعل ذلك وألحان الغناء تملأ الفضاء وتطرب المعاني ، وتزيل عن المرء الهمّ والعناء !! أقول.. سار الموكب بالعروس والعازفين والمغنّـين وبالأهل والاصدقاء ، سار حتى بلغ قوساً . هناك أوقفت العروس ناقتها ورفضت إحناء رأسها لتمر من تحت تلك القوس ، وقالت لمن يحيط بهـــا من الأهل :

« واذلاّه يا قومي! أتريدون لعروسكم طأطأة رأسها؟ أين الحميـّة يا أهلي !

أين الإباء ؟ »

قال أهل العروس :

« وشرفِ آبائنا ان عروسنا على حقّ بعدم إحناء رأسها ، لأن إحناء الرأس دلالة على الخضوع ، وعروسُنا لن تذهب إلى زوجها ذليلة خاضعة كسيرة » .

وهكذا كثر الجدال واشتد النزاع ما بين الفريقين ، فأهلُ العريس يقولون :

« ما ضر العروسَ لو أحنت رأسها ! »

وأهل العروس يُصرّون :

« لا... لن تفعل ذلك. »

كما ان بعض الحاضرين أخذ يُشير عليهم بهدم القوس وإزالة سبب الخلاف .

ووجدتُني أقترب نحو القوم وأُحادثهم . فقد هالني ان أراهم يتجادلون حول أمرٍ تافه كهذا . قلت :

« من منكم وليّ أمر العروس ؟ »

فتقدم شيخ جليل وقال :

«أنا» .

قلتُ :

« أتزفّون عروساً على ظهر ناقـــة ، وبإمكانكم زفافها على ظهر فرس أصيلة من خيرة ما أنجبت بلاد العرب من خيول !! »

قال الرجـــل :

« وأين نحن من الأفراس العربية الأصيلة !؟ »

قلت :

« هذه فرسي أُعيرُها لكم ، لا سيّما وقد اصبحت أعلم ما لعروسكم من حَسَبٍ ونسب كريمين ».

سُرّ الشيخ من قولي والتفت إلى قومه وقال :

« أنيخوا الناقة وأركبوا العروس على ظهـــر تلك الفرس » .

ففعلوا . وتابع الموكب سيره وأنا في إثره أشاهـــد العروس وهي تجلس بتيهٍ ودلال ، وتمر من تحت القوس مرفوعة الرأس مزهوة بجالها .

وعندما انتهى سير الموكب استرجعتُ فرسي ونويت متابعة سفري ، إلا أن شباب العائلة أحاطوا بي وحملوني على الاكتاف، ثم أخذوا يهزجون من حولي أهازيج الطرب.



أنهدم البيت أم نقطع رأس العروس!!

كما ألحّوا علي بالبقاء لحضور حفلة ساهرة في بيت أحدهم .

حاولت التخلص فلم أفلح ، بل وجدتني أجلس بينهم مرغماً حتى الصباح ، وأستمع الى الغناء .. والى الحداء .. والى كثير من أقوال الأغبياء .. أفعل ذلك ، أنا الهائم على وجهي هرباً من متاعب الجهلة الأشقياء .

سبـــاق

كنت أفكّر في وجوب العودة الى بلادي ، عندما شاهدتُ رجلاً يعدو . سلَّم الرجلُ عليَّ وأومأ اليَّ بإشارة لم أفهمها ، إلا أنني قلت : إتبع الرجل يا عطية لعلَّه يركض لإطفاء حريق ، أو إغاثة غريق ، أو هرباً من وحش ، أو تخلُّصاً من لصوص الطريق .. !!

ركضتُ وراء الرجل مسافة طويلة،انضم إلينا بعدها ثلاثة من الرجال . وقلتُ بفكري :

« لعل لانضمامهم سبباً ، فتابع الركض يا عطيّة ، لعلّك تنجو في ذلك من خطر ، أو تؤدي خدمةً محمودة . »

ركضت وركضت .. كلّت رجلاي .. وتصبب

العرق من جبيني ، وأخـذت ألهث من شدة التعب . إلا انني تابعتُ الركض ، فركضتُ وركضت .

وعند منعطف الطريق رأيتُ أربعة من الرجـــال ينضمون إلينا . قلت : لعلّـهم يعلمون ان في امتناعهم عن الركض مضرة ، فلأركض معهـــم ولا أتوانى عن ذلك لئلا أتعرض الى شيء من الأذية .

وهكذا مضيت أجاري الراكضين : أركض والتعب يـــؤلم كلَّ عضلة من عضلات جسمي .. أركض ولا أتوقف .

ومررنا بمتاجر ، أغلق اصحابها أبوابهـــا فتبعونا . ومررنا بحقول واسعة .. ترك الفلاحون أدواتِ حراثتهم وانضموا إلينا . وتزايد عددنا دون أن نشعر ، هذا ينضم إلينا وذاك يتبعنا عن بعـــد ونحن نركض .. ونركض ونركض ..

وأخيراً أمسكتُ ببعض من كان بقربي وقلت :

« لماذا تركض ؟ »

قال « لا أعلم »

أمسكتُ بآخر وسألته السؤال عينه ، فقال :

« يركضون فاركض »

أمعنتُ في الركض الى أن وصلت الراكض الأول : وقلت له :

ـ « لماذا تركض ؟ »

ـ « أمرن عضلاتي . »

ـ «ولكنني بغير حاجة الى تمرين عضلاتي !!»

ـ « ولماذا تبعتني ؟ » .

نعم .. لماذا تبعتُ الرجل !؟ ولماذا يتبعه الباقون ؟ ركض فركضنا ، ولو لم نكن أغبياء لما فعلنا ذلك !

وهكذا عدتُ أدراجي الى بيتي ، فاستقبلني أولادي بالهتاف ، أما زوجتي فزغردتْ وقالت :

« لقـــد استقر رأيي على أن أجمع الفائض مما تيسر في البيت ، وأحتفـظ به لتوزيعه على الأرامل والأيتام في شهر رمضان المقبـــل علينا ببركاته . »

قلت لها :

« إنني يا عزيزتي لَعلى أتمّ الاستعداد لمعاونتك . »

ثم أضفت ـ وكنت أعني كل حرف ممـــا قلت لها :

«عزيزتي، أود أن أؤكد لك بأن زوجك عطية لا يقلُّ عنك في شيء وحتى في ارتكاب الحماقات »

قلت هذا وأخبرتها كيف اشتركتُ في مسابقة تافهة .

استرسلتْ زوجتي في ضحكة رنانـــة ، ثم قالت :

« أوَ يحدث مثل هذا لك، أنت الهائم على وجهك هرباً من متاعب الاغبياء !!»

مصيبة حمار

كان لأحد القرويين مزرعة صغيرة ، وكان في تلك المزرعة حمار أبطره الكسل،وجمل عيل صبره من الإقامة في مزرعة صغيرة لا يغادرها إلا نادراً . وكانت الحياة في تلك المزرعة مملّة لا تطاق ، لولا ان الحمار والجمل تعاهدا على حسن الجوار ،وأخذا يبددان الضجر المستحوذ عليهما بالتندر بسرد الفكاهات وروايـة القصص والحكايات والتحدث عن كل أمر غريب .

قال الجمل :

« إن أغربَ ما شاهدته في حياتي هو الصحراء . وهي أرض واسعة مترامية الأطراف ، كثيرة الرمال

عديمة الأمطار ، قليلة النبات ، وأهلها يسكنون بيوتاً من الشعر . »

قال الحمار :

« ان الذي تصفه لا غرابة فيه مطلقاً إذا قورن بشيء يدعوه الناس بحراً . فالغرابة كل الغرابة موجودة في هذا الشيء العجيب . وإنك اذا قُدِّر لك أن تشاهد روعة البحر ، فستعلم أن صديقك الحمار على حقٍّ في كل ما يُبديه وكل حكمة يفوه بها » .

سال الجمل بشيء من التواضع :

ـ وما هو البحر ؟

ـ البحر كالصحراء ..

يشبهها باتساعه وترامي أطرافه وبتنوُّع ما يعيش فيه من المخلوقات ، كما انه يشبهها بأنه يتكوَّن من ذرات. الا ان ذرات البحر تؤلِّف نقطاً من المياه تتجمع فوق صفحته ، وذرات الصحراء تؤلف الرمال الكثيرة التي تتناثر مع الرياح وتغطي وجه الأرض بلونها الأغبر . هذا، وأغرب ما في البحر يا أخي الجمَل هي حركتُه الدائمة.

ذلك أن مياهه لا تكلّ ولا تهجع ، بل تندفع بحركة متتابعة ، تحاول الوصول الى اليابسة لترتد عنها فاشلة .

وسال الجمل بشيء من الدهشة :

ـ « أو تعني كل ما تقول ؟ »

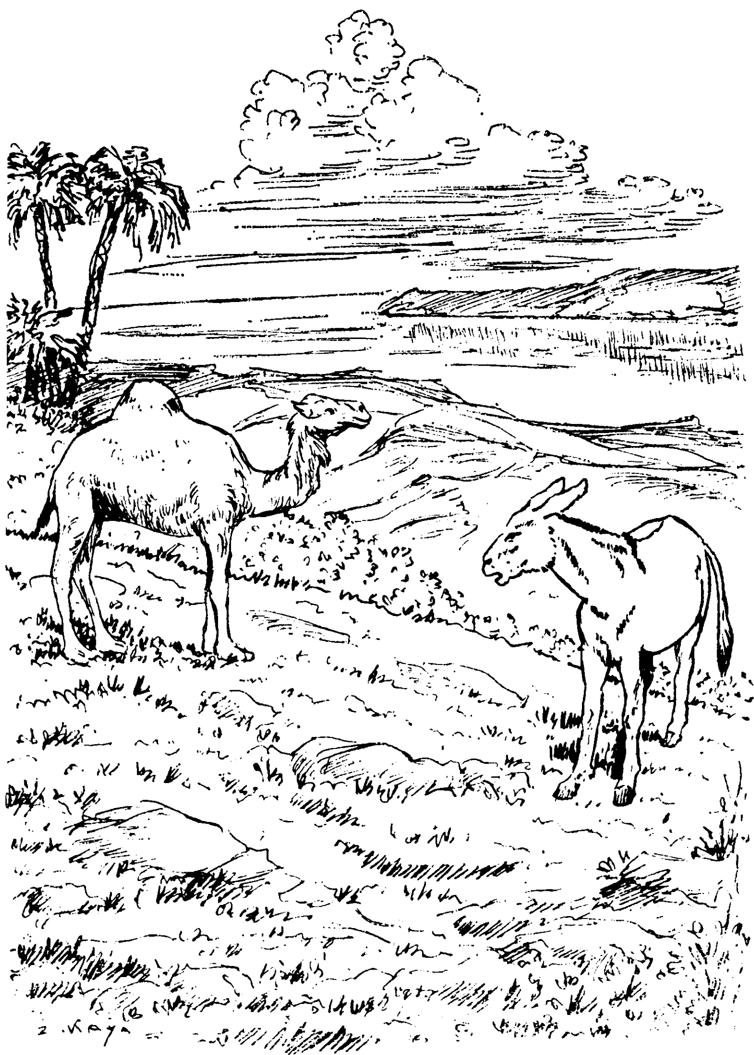
ـ « أعني كل حرف منه . »

ـ « أتقسم بذلك ؟ »

ـ « لا ضرورة الى القسَم يا أخي ...

تعال نذهب الى البحر يا صديقي ونراه على حقيقته ، فالبحر قريب منا ويمكننا الوصول إليه بعد سير مسافة نصف نهار وهذا أمر ليس من الصعب علينا ، إذ أنه يمكننا مغافلة صاحب المزرعة والهرب بسهولة من مزرعته » .

وكان للصديقين ما أرادا .. فغافلا صاحب المزرعة وهربا من بابها ، ثم سارا على الطريق العام متجِهَين نحو الشمال ، نحو طرابلس حيث يجثم البحر الدائم الحركة ، البحر الذي لا يكلّ ولا يهجع . وكانت الطريق أمام



مصيبة حمـــار

الصديقين جميلة ممتعة ، يزينها العشب الأخضر وتحيط بها « السواني »[1] الفسيحة التي تزخر بما لذّ وطـــاب من الحشائش والخضار ، الأمر الذي حمل الجملَ والحمـــار على التوقّف هنيهة والتذوّق مما جادت به الأرض من خسّ طريّ وأعشاب متنوعة .

وما إن استقر بعض الطعام في معدة كل من الصديقين حتى نسيا البحر وضرورة متابعة السير لرؤيته .

أيتذكّر المرء البحر بمائه المالح ، وفي المكان مرعى لذيذ ! أيتذكر المرءُ موج البحر وهديره وفي المكان جدول ماؤه عذب يتدفق من فتحة في الأرض تحدث لحناً طروباً !!

واغتبـط الصديقان لهذا الحظ الذي نالاه بدون سعيٍ ولا جد، فالماء بمتناولهما والطعام وافر . وكان الحمار أسبق الى الرغبة في التعبير عن اغتباطه ، إذ قال للجمل :

ـ « أرغب في النهيق يا أخي الجمل » .

ـ « لا تفعل . »

---

(١) السواني : كلمة ليبية تعني المزارع . المفرد سانية .

ثم أضاف الجمل :

ـ «أخاف أن يسمعنا أهل هذه الناحية فيمسكون بنا»

ـ « ولكنني أريد أن أنهق . »

ـ « أقول لك لا تفعل . »

ـ « أنا أشعر بالغبطة تملأ قلبي .. ولا أستطيع أن أضبط حقيقة شعوري ، إنّني أريد النهيق » .

ـ « إسمع يا أخي ، إن نهيقك منكَر ، يسمعه القريب والبعيد ، ويسمعه الناس هنا كما قد يسمعه صاحب المزرعة عن بعد فيأتي إلينا . وأنا لا أشك في أن صاحب المزرعة قد افتقدَنا وهو الآن في طريقه يبحث عنا في كل مكان ، فاطرح عنك الجهل يا صاحبي وامتنعْ عن النهيق حرصاً على سلامتنا » .

ـ « لا أستطيع .. أنا لا أستطيع .. لا أستطيـــع أن أضبط شعوري .. هيها هيها هيها . لا أستطيع .. هيها هيها » .

وحدث ما كان يتخوف منه الجمل الصابر . إذ أن

صاحب المزرعة كان في تلك الدقيقة يتعقّب أثر الجمـــل والحمار بالقرب من مكانهما . فلما سمع نهيق الحمار يعلن عن غباوته بجهير صوته ، اقترب منه ومن الجمل .. فأمسك بهما . أدرك الجمل ألا فائدة من محاولة الهرب من صاحب المزرعة فأسلس القياد له مؤقتاً بشكلٍ حمله على الاطمئنان إليه . أما الحمار فقد ثار وغضب، ورفس ، ونهـق، وثبّت قوائمه بالأرض وحرن.. ورفض أن يتحرك من مكانه .

ولما رأى الرجل تصرّف الحمار على هـذا الشكل طلب النجدة، فجاءه مَن أسعفه بحبلٍ ربط به قوائم الحمــار ثم أناخ الجمل ووضع الحمار على ظهره قائلاً :

« من لا يستجيبِ للّطف ، يستجب لعصا فرعون ! »

وسار الجمل بحمله الثقيل ، والحمار يتململ وينهق ، ويحاول التخلّص من قيوده بكل وسيلة ممكنة . وأخيراً إذ تعب الحمار وشعر بالا فائـدة من استمراره على إثارة الفوضى ، أخلد الى الهدوء وترك للجمل أمر نقله، وكأنه المتفضّلُ عليه بالسماح له بالاستمرار على حمله .

مسكـين الجمل ، لو كان ما يحمله حملاً ثقيــلاً من

الذهب الخالص لهان عليه الأمر ، ولكنه يحمل حماراً .. والحمـــار الذي يحمله سبق له ورفض الاستماع الى نصيحته وتسبب بإيقاعه في الأسر . مسكين الجمل وألف مسكين . الحمار يتربّـع على ظهره، يجلس ناعم البال محمولاً مدللاً، لا تتعثر قوائمـه بالحصى، ولا تناله عصا السائس بأذى .. بينما الجمل يسير مرغماً بحمله الثقيل ، يسير منهوك القوى ، كسير الجانب مسخّـراً صاغراً مامورا. مسكين الجمل وألف مسكين .. كيف يحصل كل هذا لسيد الصحراء الجبّـــار العنيد،القوي البنية،الضخم الجثة!! كيف يحدث هذا لسيد الصحراء ؟! كيف يحمل حماراً حقيراً ويسير به مرغماً ؟

ملأ الغيظ قلب الجمل واسودّت الدنيـــا في عينيه اذ أخذ يفكر في هــــذه الأمور. فثارت نفسه .. رفس ، وأرغى وأزبد ، وأخذ يقفز ، يعلو وينخفض ، يباعد خُـطاه ويُـقاربها بشكل فيـه تحدٍّ للحمار المتربّـــع على ظهره .

وصاح الحمار : ـ « قف.. قف.. قف يا هذا، أنا آمرك أن تقف .. آمرك .. »

وأصابت كلمة « آمرك » وتراً حساساً من الجمل الغضوب فاجتاحت نفسه هزة حملته على أن يسرع في خطاه . فبدأ يركض حيناً ويتوقف حيناً ، آخر ويقول في نفسه :

« من حق هذا أن يعلّمك يا صديقي كيف تآمر وتنهى وكيف تضبط نفسك عند الضرورة » .

ودوى صوت الحمار مرتفعاً خائفاً مرتاعاً من هذا المزاح الثقيل الذي لم يعهده من قبل في صديقه الجمل ..

وصاح الحمار : « قف قف ».

فكان الجواب ـ : « أنا متأسف .. أريد الركض » .

ـ « قف .. ألا تعلم أنك اذا أكثرت الركض أوقعتني أرضاً!؟ »

ـ « لكنّي لا أستطيع ضبط نفسي ووزنك الثقيل يؤلم ظهري » .

ـ« إسمع ، حاول أن تضبط شعورك يا أخي.حاول .. لأن حياتي مرهونة بذلك » .

ـ « لا تخفْ ، فإني أركض بخفّـة ، واقفز برشاقة .. »

ـ « أرجوك ، أرجوك ، أرجوك. »

ـ « لا أستطيع ذلك ، لا أستطيع ضبْط نفسي » .

قال الجمل هذا واستمر في عبثه بينما بلغ الخوف أشدّه من الحمار . فأخذ يستعطف مرة ويتوعّد أخرى ، يهتز ويحاول التمسك بشيء يقيه من الوقوع أرضاً . وفي فترة من فترات الخوف الشديد آثر الحمار ان يلقي بنفسه من على ظهر الجمل ، مفضّلاً استقرار الأرض على اهتزاز ظهر الجمـــل. مؤثراً الوقوف على الأرض اليابسة من الرقص في الهواء فوق سنام مرتفع . ولكن الحمار ـ مع الاحترام لآرائه ـ أساءَ التقدير ، فوقع على الأرض شاتماً متأففـــاً متالماً من رضة أصابته في ساقه، وخوف كاد أن يقضي عليــــه .

لم ينوِ الجمل أن يوقع الأذى بصاحبه بل أراد مداعبته وإيقافه عند حدّه ، وتذكيره بسيئات عدم التقيد بقواعد ضبط النفس. ولكن،لقد حدث ما لم يكن بالحسبان . ها هو

الحمار ملقى على الأرض ، وصاحبُ المزرعة جاثٍ بقربه يحاول تخفيف آلامه ويفكر في طريقة يعيده بواسطتها الى المزرعة .

أما الجمل فاخذ يفكّر فيما عساه أن يفعل .. أيبقى واقفاً بقرب الاثنين ليسير معهما الى المزرعة الصغيرة ، أم يتخذ من انشغالهما مناسبةً لفراره ومضيّه في طريقه الى البحر ؟

فكر الجمل بالأمر ، واهتدى الى حلٍّ مرضٍ ، فاقبل على الحمار يحدثه ويقول له :

ـ «أعتقدُ بأن صاحبنا سيُعنى بأمرك، ولهذا أجدُني راغباً بمتابعة السفر » .

ـ « الى أين ... ؟ »

ـ « أنسيتَ ؟ أنا أريد متابعة السفر الى البحر ».

ـ « أتتركني لوحدي وتذهب بدوني ؟ »

ـ« لستَ لوحدك، فصاحب المزرعة سيعنى بأمرك.»

ـ« صاحب المزرعة! أتظنني أرغب بمرافقته ! »

- « لِمَ لا ، وهو يعطف عليك هكذا !؟ »

- « لأنني أرغب في السفر معك الى البحر . إسمع ، إنتظرني حتى أشفى ثم أسير معك ! »

- « لقد علّمتني الحوادثُ الأخيرة بانه من الخطر على المرء مرافقة صديقٍ له لا يعرف السبيل إلى كيفية ضبط نفسه » .

امتعض الحمار من كلام الجمل وعضّ على شفته السفلى كاظماً غيظه محاولاً عدم إظهار ما يكمُن في نفسه من حسرة وقال :

- « ألا تعود الى الاقامة معي في المزرعة أيها الجمل ؟ »

- : « أفعل ذلك ، لكن عندما انتهي من مشاهدة البحر الجاثم على مقربة من طرابلس ، البحرِ الدائم الحركة الذي لا يكلّ ولا يهجع . »

قال الجمل هذا وسار في طريقه دون أن يلفت إليه انتباه صاحب المزرعة. أما الحمار فاخذ يراقب ابتعاد الجمل عنه وفي نفسه غصّة مريرة كان سببها شعوره بأن عدم

ضبطه لنفسه ، قد وضعه تحت رحمة صاحب المزرعـــة ومنعه عن رحلة ممتعة الى البحر الكبير .

ألا ما أسوأ المصيبةَ إذا كان سببها عـدمَ ضبط النفس وكان المصاب بها حماراً!!

وصية الشيخ سالم

جلس الشيخ سالم خارج « الحوش »[1] وأخذ يراقب الطبيعة الهادئة الجميلة المحيطة به من كل جانب ، وينتظر مغادرة أبنائه البيت الى أعمالهم المختلفة . كان الصباح جميلاً والقرية الوادعة تستقبل النور بعين ناعسة . كانت سعُف النخيل تتمايل مع النسيم العابر وثُغاءُ الخراف يُسمع آتياً من « السواني » المجاورة ممتزجاً بأصوات الصبيةِّ وهم يتراكضون ويَنْعَمون بمحاسن أوطانٍ جمَّلها الله لخيرهم.

استمرّ الشيخ سالم في جلوسه ، وأخذ يسرّح نظره في جمال الطبيعة الخلاب ، وينتظر أبناءه ليمنحهم كعادته

(١) الحوش : سماوي البيت .

بركاتهِ الأبوية . ولم يطُل انتظار الشيخ إذ أقبل أولاده واحداً واحداً يُلقون عليه التحيّة ويمضون في طريقهم. « بالسلامة[1] ... بالسلامة ... » ردّد الأولاد .

و« يحمى الله ... يحمى الله » ردد الوالد المسن .

وكان آخر من غادر البيت ابنه بشير . . طرح التحية على والده وتقبّل دعاءه له بالخير ، ثم سار حتى بلغ منعطف الطريق . وهناك تذكّر انه نسي أن يبلّغ والدَه رسالة زوجته ، فعاد راجعاً إلى والده وقال له بصوت المعتذر :

« والدي ، نسيتُ أن أقول لك ان زوجتي لن تتمكن من إعداد الطعام لك اليوم، لأنها .. لأنها ستكون مشغولة بالأولاد » .

قال بشير هذا ومضى في طريقه ، بينما استقرت عينا الشيخ عليه ، تتابعانه بنظراتٍ فيها المحبة والعطف وفيها شيءٌ كثير من الألم المرير .

---

(١) بالسلامة : تستعمل في ليبيا بمعنى بخاطركم .

« والدي ، ان زوجتي لن تتمكن من إعداد الطعام لك اليوم ... »

هذه كلماتٌ عادية لا تُعَبِّر عن شرٍ ولا تنبىء عن نكران للجميل، ولكنها كلماتٍ ملأت نفس الشيخ حسرةً وألماً.

لماذا ؟

لأن الشيخ سالماً يعلم ما وراء هذه الكلمات من معاني ، فزوجةُ بشير تُعِدُّ في كل يوم طعاماً ليأكل منه زوجها وأولادها، كما ان زوجاتِ باقي أولاد الشيخ يُعْدون في كل يوم الأطعمة لعائلاتهن.. ولكن زوجة بشير لا ترغب كما لا يرغب غيرها من باقي زوجات أولاد الشيخ في أن يأكل الشيخ الجليل مما يعددْنه من طعام . فهو هرِمٌ ثقيل ظلٍ ، كما أنه بطيء الحركة ويداه ترتجفان .

إن زوجة بشير تنتحل الأعذار لتُبعدَ هذا الشيخ المسنّ عن زوجها وأولادها . وبشير كباقي إخوته ينصاع لأوامر زوجته ، ويتنكّر لوالده بإيحاءٍ منها . وهو ان فعل ذلك فعله أُسوةً باخوته .

ألم يمنع عليٌّ والدَه من استعمال غرفـــة الاستقبال!

ألم يؤنّـب فهمي والدَه على إبداء آرائه ؟

وذلك المصبـــاح الوحيد الذي يملكـه الوالد ، ألم يأخذه عبد الله منه عُنوةً !؟

« والدي ... ان زوجتي لن تتمكن من إعداد الطعام لك اليوم ... » كلمات عادية ، ولكن الشيخ سالماً يعرف ما تحمل في طيها من معاني .

يا لِتِلْـك الأيامِ التي قضاها الشيخ كاداً، كادحاً ، جارياً وراء العمل ليضمنَ لأبنائه علماً وثقافة !

يا لتلك الأيام التي كان يعملُ فيها الوالد من شروق الشمس الى غروبها ليوفِّرَ لبنيه العيش الرغيد .. !

أما الآن ، فقد تبدّلت الحالة وأصبح الشيخُ بحاجـةٍ الى من يُعنى بامره، أخذ يتوق الى العطف مع أن العطف أصبـــح بعيداً عنه .

« والدي، إن زوجتي لن تتمكن من إعداد الطعام لك اليوم .!» يا للسخرية !!

ومر بالشيخ صديقٌ له رآه وهو ينقب الأرض بعصاه ،

يرسم خطوطاً لا معنى لها ويتمتم بكلماتٍ مبهمـــة . ثم يهز رأسه مستنكراً وجود شيءٍ مكدرٍ يَعصِف بهناءة شيخوخته .

لمّا رأى الصديقُ الشيخَ سالماً على هــــذه الحالة سأله عن سبب انزعاجه، وإذ علم منـــه السبب طيَّب خاطره وقال له :

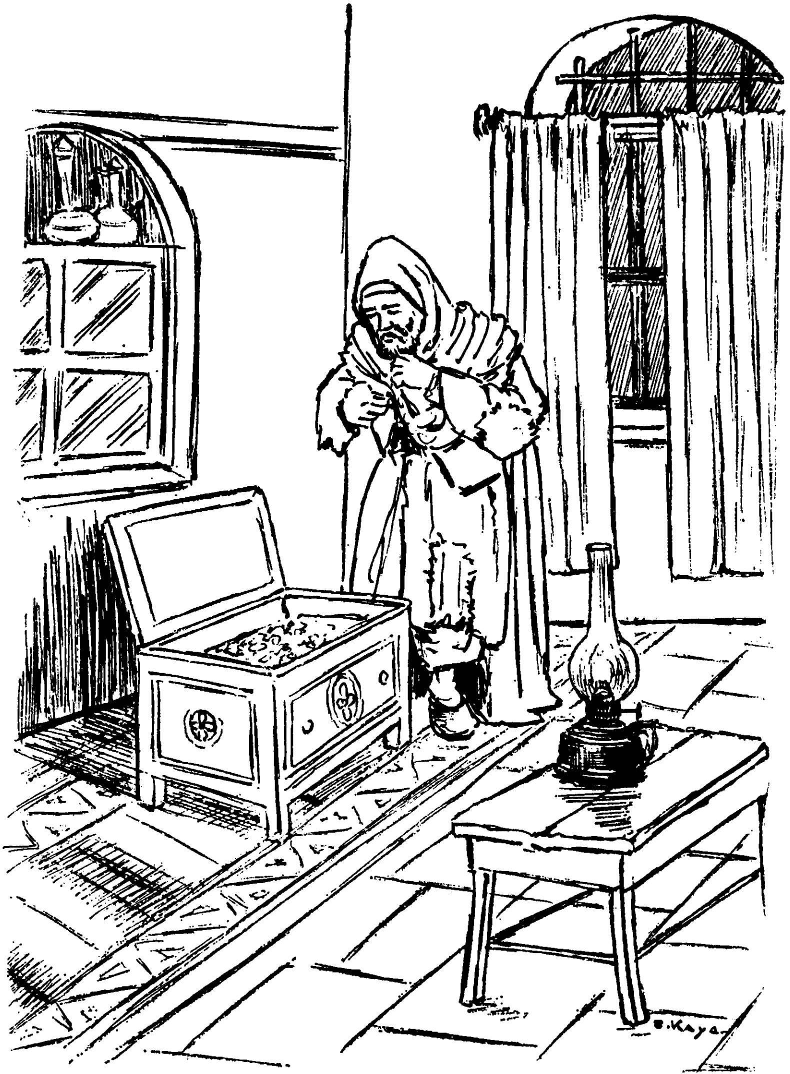
ـ « ماذا أصابك يا أبا الحكمة والدهاء ؟ أتجُبنُ عن إيجاد حلٍّ يقوّم سبيلَ أبنائك وقـد كنتَ فيما مضى صاحب الرأي في هذه القرية » .

قال الشيخ :

ـ « أودْت الأيام بحكمة الشيخ سالم ، فهاتِ ما عندك لعلّ لك رأياً وجيهاً . »

قال الصديق :

« إعتمدْ على الصندوق الخشبيّ . فكم من كُربْةٍ بدّدها ، وكم من حالة بائسةَ بدلها بأحسن منها » .



الشيخ سالم وصندوقه والفانوس الجديد

قال الشيخ :

ـ « وأي صندوق تعني ؟ »

ضحك الصديق وتلفّت يمنةً ويُسرة كأنه يحـاول التأكد من خلو المكان من الفضوليّين . فأومأ إليه الشيخ بأن يخفض صوته ويقترب منه ، لا سيّما وأن كليهما يعلم حق العلم أن « للحيطان آذاناً » .

وكان للشيخ سالم ما أراد . فأسرّ الصديق في أذنه حكاية الصندوق الخشبي . .هذه الحكاية التي أعجبت الشيخ وَحمَلَتهُ على أن يُطبّق على نفسه ما جاء فيها من أمور . . فقام الى عصاه وتوكأ عليها وذهب الى السوق فابتاع مصباحاً جديداً . ثم ابتاع صندوقاً خشبياً يتفق والوصف الذي جاء في حكاية صديقه . ثم وضع مجموعةً من الزجـاج المكسّر داخل الصندوق الذي ابتاعه ، وحرص على أن يكون الزجاج ملوّناً . كما وضع في الصندوق بعض القطع الخزفية . وأخيراً أغلق الصندوق بإحكام وحمله بحذرٍ تحت ثنايا ردائه . . وعاد الى « الحوش » حيث أخفاه عن الأنظار .

وعند المساء أضاء الشيخُ مصباحه الجديد ، ثم أغلق باب غرفته ، كما أغلق النافذة وأسدل ستائرها ، وأحضر الصندوق ففتحه وأفرغَ ما فيه على الأرض بالقرب من المصباح. ثم أخذ يُرْجع القطع واحدةً واحدة إلى داخل الصندوق، يَعُدُّ كل قطعة بمفردها ، يعدها حالَ تناوُلها من على الأرض ويعدها مرةً ثانية إذ يلقي بها في الصندوق مردداً بصوت مسموع :

واحد ، واحد، .. اثنين ، اثنين .. ثلاثة ، ثلاثة .. خمسين ، خمسين .. مئة ، مئة ..

أما أبناء الشيخ فقد لاحظوا شذوذاً في تصرُّف أبيهم .

لماذا أضاء المصباح ؟

ولماذا أسدل الستائر ؟

ماذا يخفي ؟

وماذا يحصي ؟

أرهف الأولادُ سمعهم ، فاذا بالعدّ يرتفع من المئة الى

المثتين الى أكثر من ذلك. ونظر أحدهُم من ثُقب في الباب فإذا به يلمح لمعاناً ..

هل يملك الشيخ شيئاً يُحدث لمعاناً ؟

هل يملك ذهباً ؟

أم هل يملك جواهر تتالق بحسنٍ أخاذ ؟

ان كان الشيخ يملك الذهب والجواهر فلماذا يخفيـــه عن أبنائه !؟

هل كان لتصرُفهم نحوه في المدة الأخيرة مـا منعه عن مفاتحتهم بالأمر !؟

وبدأ كلٌ واحد من أبناء الشيخ يؤنب نفسه على مـا اقترف من سيئات نحو والده ..

ليتني ما كنت فظّـاً غليـظ القلب في معاملتي لوالدي.

ليتني ما منعتُ عنه الطعـام .

ليتني ما أخذت منه مصباحه الوحيد .

ليتني ردعتُ زوجتي عن غَيـّـها ونصحتها بوجوب العطف على والدي والاحسان إليه ..

ليتني .. ليتني .. ليتني ..

وفي كل ليلة بعد تلك الليلة كرّر الشيخُ سالم عملية عد

الدراهم الوهمية والتكتم حول وجودها في حوزته . كما أنه منذ ذلك الحين عاش في طمانينة وراحة بال .. لأن الذهب المزعوم وبريق الجواهر الكذاب قد حنّن القلوب وبدّل النيّات ، فغدت حياة الشيخ سالم هنيئة رغدة : الأكل يأتيه إلى غرفته ، والفراش يُنضد ويُنظف ، والغرفة تُكنس، وثيابه تنال شيئاً من العناية .

وعندما شعر الشيخ سالم بدنوّ أجَله أرسل بطلب القاضي . فلما حضر إليه قدم له الشيخ مفتاح الصندوق الخشبي وطلب منه أن يجمع أولاده بعد وفاته وأن يفتح الصندوق على مرأى منهم . ثم طلب إليه ان يوزّع التركة التي أودعها في داخل الصندوق على أولاده بالتساوي . فوعد القاضي الشيخَ المحتَضَرَ بأن يقوم بكل ما أوصاه به ، كما طيّب خاطره ومدحه لاهتمامه بأبنائه ومساواته بينهم بالعدل والإنصاف .

وما بين عشيّةٍ وضحاها توفي الشيخ سالم ، فبكاه أبناؤه ، كما أسِف أصدقاؤه لفقدانه . أما أبناء الشيخ فأقاموا لوالدهم مأتماً كبيراً ، ووزعوا المال على الأيتام والفقراء ليترحّم الجميعُ على والدهم الفاضل . أوَ ليس في

الصندوق الخشبي ما من شأنه ان يعوّض الأبناء على بذخهم؟ فليتّخذ الأولاد إذاً من وفاة الشيخ الجليل مناسبة لرفع شان العائلة وحمل الناس على احترام هؤلاء الذين أولموا ووزعوا الصدقات عن روح الوالد الراحل !

وبعد انتهاء مراسيم الجنازة وعودة المعزّين إلى منازلهم ، اجتمع في بيت الشيخ أولاده وبعض المقربين من أصدقائه ، وأقبل القاضي ففتح الصندوق الخشبي أمام الجميع .

يا للعجب ، ماذا رأى القوم في داخل الصندوق الخشبي !!

أذهب يتحول الى حجارة خزفية ، وجواهر تصبح زجاجاً رخيصاً ؟

وامتدّت يد القاضي الى الصندوق فالتقطت وريقة كُتبت بخط الشيخ سالم جاء فيها :

« لينقلب برّاق الذهب الى فخّار ، وكل متلألىء من الجواهر إلى زجاج عديم القيمة ، عندما تطغى الأنانية على الأبناء فيسيئون الى آبائهم . أمّا أولئك الذين سكب الله

الرحمة في أفئدتهم فأحاطوا بعنايتهم شيخوخةَ والدِيهم ، فلينقلب، لأجل رفاهيتهم ، الزجاج الرخيص الى جواهر وكل فخار حقير إلى كنز من الذهب الثمين . »

وعندما انتهى القاضي من قراءة الورقة بُهِتَ جميع من كان حاضراً ، كما تبادل أفراد العائلة النظراتِ التي تعبّر عن معاني الخجل والانكماش والأسف على كل ما حصل. بينما ساد المكانَ صمتٌ رهيب ، لم تبددّه سوى ضحكة مكتومة صدرت عن رجل هرم ، وكان ذلك الرجل هو صديقَ الشيخ سالم .

تحولت الأنظار إلى الرجل الذي قال بصوت متهدج يشبه صوتَ الشيخ سالم نفسه :

« لا تحتقروا قيمة وصيةٍ غالية تركها والدُكم لخيركم ولخير أبنائكم وأبناء أبنائكم ، لأنها وصية كتبها شيخٌ جليل بِمداد من الحُنْكة والدّراية ، فاعتبروا بما فاتَ لما هو آت ، وإن هذه لعمري هي أسمى وصية » .

جائعان

في ليبيا رجلٌ اسمه عامر . هل سمعت به ؟ أم هـــل رأيته ؟

إن عامر تاجر لا يقيم في مكان معين ، تراه في الجبل ، وتراه في الساحل ، وتراه في صحراء فزان[1] . هو تاجر جريء مغامر ، يسافر منفرداً وبرفقته عدد من النيّاق عليها تجارته . هو لا يحمل هماً ولا يُقيم للخوف وزناً . إنه شُجاع حتى الكمال ، ذكيٌ عبقري ، رابط الجـــاش ، صاحب حيلة ، يعرف كيف يبتعد عن الأخطار وكيف يُعد لكل مأزق مخرجاً . هذا هو عامر !

ثم هل سمعت بقصص عامر ؟

تلك القصص الكثيرة التي رواهـــا عن مغامراته .

---

(١) فزان اقليم صحراوي في جنوبي ليبيا .

ومشاهداته في الكثير من سفراته ؟

إن قصص عامر كشخصيته ، فيها الجرأةُ والشجاعة والذكاء ، وفيها الكثير من الحقيقة وشيءٌ من الخيال .

ألم تسمع بقصة عامر والحية الرقطاء ؟

تلك القصة التي رواها عن حيّةٍ ملأت الأجواءَ بفَحِيحها ، لسعت أناساً وروّعت آخرين ، ثم استسلمت لعامر بسبب انطلاء حيلته عليها .. حيث أوقد ناراً أمام وكرها فاخرجها منه ، وأهلكها ، وأنهى بذلك متاعب قومه المتسبّبة عنها .

وهل سمعت ببقية ما لعامر من قصص ؟
قصته مع اللصوص المتشردين ...
قصته مع الناقة التائهة ...
قصته عن الكهف المهجور ...

وأخيراً قصته يوم نقص زادُه وتمكّن منه الجوع وكان من أمره ما كان ، إلى أن التقى وجهاً لوجه مع ذئب جائع مثله ..



عامر الجريء على ناقته

هذه قصة غريبة ، يلتقي فيها جائعان ، أحدُهما حيوان مفترس أعماه الجوع عن اتخاذ الحيطة والحذر ، والآخر تاجر ذكي صاحب حيلة ، أنهكَ الجوعُ قواه فأذلّه وجعل منه رجلاً يحسب لكل أمر صغير حساباً .

كان عامر في طريقه من واحة « الكَفْرة »[1] متجهاً نحو الساحل يحدو لناقته الوحيدة ، تلك الناقة التي أبقاها من مجموعة نياقه التي باعها لإغراء المشترين له ، وابتياعهم إياها بأضعاف أثمانها . كان عامر يحدو لناقته، ويحدو حيناً آخر ، بينما كانت الناقة تسير مغتبطةً لحدائه ، متمايلةً جَذْلى بفعل إيقاع لحنه ، مغمورة بجلال السكون المخيِّم على المكان ، وبحسنٍ تنعم به الصحراء في سُويعات الغروب .

وفجأة توقف عامر عن الغِناء . لقد تذكّر شيئاً .. تذكَّر أن زادَه أخذ في النقصان ، وأنه مهما حاول الاختصار من وجبات طعامه وتخفيض الكمية التي يأكلها في كل وجبة ، فإنه هالكٌ جوعاً .

---

(١) الكفرة : واحة مشهورة في ليبيا .

تذكّر عامر هذا وشعر بالجوع يُنغص عليه ، شعر بالم متنقّل في جوفه، فأخذ يتمنى لو استطاع ان يتناول كل ما لديه من الزاد ، يتناوله دفعةً واحدة فيسدّ حاجته إلى الطعام ويُسكت هذا الألم المتزايد الذي يشعر به ـ ألم الجوع المرير . ليت عامراً لم يبعْ بقية نياقه ! ليته احتفظ ببعضها طعاماً لسُويعات الجوع ، ليته فعل ذلك ، لا سيما وأن الطريق أمامه طويل شاق ، وبينه وبين أول مدينة آهلة بالسكان مسافة أربعة أيام .

وماذا يفعل عامر بتلك الأيام الأربعة ؟

أيستطيع أن يكتفي بزاده الضئيل يتذّوق منه الشيءَ القليل ويعلّلُ نفسه بالانتظار !!

ألا ليت عامراً لم يبع تلك النياق ، فما فائدة المال وصاحبُه يطلب زاداً فلا يجده ! ما فائدة المال وصاحبه جائع ! والجوع عدو ، إذا حل طغى وبغى وفتك بالناس فتكاً .

وأراد عامر أن ينسى الجوع المسيطر عليه، فاسترسل في خيالٍ خصب أوحته إليه حالة حرمانه من الطعام .

بدأ يفكر بالطعام الشهيّ .. أخذ يتصوّر الموائد المليئة بالأطعمة وهي تتراقص أمام عينيه : اللحومَ على أنواعها ، رائحة الكسكسي[1] ، والخبزَ الطري الطازج ، رشتة البرمة والكسكاس ، المبطن ، المفروم ، والكفتة، والمحشي على أنواعه ، الحلويات المتنوعة . .

ألا ما أطيبَ هذه الأطعمة لو أنها كانت بمتناول اليد ! ألا ما أجملَ منظرها وما أقدرها على إثارة الشهية لو أنها كانت حقيقة لا خيالاً !!

وآفاق عامر الى واقعه الأليم ، صحراء قاحلة خالية من كل ما قد يُؤكَل،أرضٌ متسعة لا تحوي سوى الرمال، وعامر لا يزال جائعاً ، زادهُ قليل وحالته بائسة . أين الموائد الشهية التي أوحى إليه بها خياله ! ؟

ها هو لسان عامر قد جفّ ، وها هي معدتُه تشتكي الحرمان بينما جسمه قد استسلم إلى التراخي ومضى قلبهُ ينبئه باقتراب حلول كارثةٍ يكون هو ضحيّتها .

---

(١) الكسكسي : أكلة مفضلة عند الليبيين .

كان عامر يفكّر بمثل هذه الأمور عندما تعثرت ناقته بشيءٍ ملقى على الأرض ، فانتبه إلى حاله . أوقف الناقة وأناخها ، ثم أخذ يتفحَّص الشيء الملقى أمامها .

يا َلسعدك يا عامر !

ما هذا الحظ الذي تناله على حين غفلة !!

أغزالٌ جريح يقع أمامك فاقد الوعي !؟ أغزال يقهر صياداً ويهرب منه ليقع تحت أقدامِ ناقة عامر وليقدِّم نفسه إليه غذاء حلالاً ؟

يا َلسعدك يا عامر ...

قُم ، استبشرْ واستعن بهذا الغزال على قهر ما تشعر به من جوع .

حقاً إن مصائب قوم عند قوم فوائد .

وأسدل الليل على الصحراء رداءً من الظُّلمة معتماً ، بينما أخذت النجوم ترتفع في السماء ، ترتفع باستحياء كأنها لا تريد ان تمسَّ هدْأة المكان بأذى قد يتأتى عن جَلَبةٍ تُحْدثها بظهورها وتلاشيها المتعاقبين. إنها سكون شامل،

في فضاء فسيح ، صحراء نائية ونار متأججة عليها شِواءٌ لذيــذ .

يا لروعة الصحراء ! كم لهــــا في قلب عامر من حب وتقدير ..

لقد خُلق عامر لينتقل في صحراء كهـــذه ولينعم بحسنٍ كحُسنها. حرية مطلقة ، لا رقيب يحصي على عامر لقمته ، ولا صاحب مطعم يمدّ يـده الجوفاء ليبغي الثمن لوجبة طعام قدّمها .

سكون شامل لا تبدّده سيارة عابرة ، ولا يشمئزُّ فيه إنسان ، ولا يتردد في أرجائه صوتُ بائعٍ متجول منادٍ على بضاعته ، ومقلق لراحة العباد . لقـــد خُلق عامر لينعم بحسن الصحراء ، كما خلقت الصحراء لأمثـــال عامر ممن يجدون لذّةً بارتيادها .

وارتفعت سُحُبُ الدخان تحمل معها رائحة الشواء كما انتشرت الرائحة الطيبة في الفضاء الفسيح ، فملأت نفسَ عامر بالرضى ، وملأت نفساً غير نفس عامر بالرضى ...

ذلك أن ذئباً جائعاً كان نائماً بمقربة من المكان ، فلمّا تناهَتْ إليه الرائحة الطيبة ، أفاق ، وانطلقت من حنجرته آهة أتبعها بعواء مفزع ارتَجّت له أنحاء الصحراء الوادعة ، ثم هبَّ وتنسّم الهواء واندفع في اتجاه الرائحة يريد الأكل ولا يريد شيئاً سواه .

وهل يريد غَيْرَ الأكل ذئبٌ جائع لم يذقْ طعاماً عدة أيام !

وفي الصحراء تتجسم الأصوات وتنتقل من مكان الى آخر بسرعة . ولهذا سمع عامر عواء الذئب ، فقام الى ناره وأضاف إليها بعض الوقود ، على أمل أن يخيف لهيبُ النيران الذئبَ ويبعده عن المكان . ولكن عامراً أساء التقدير . لأن الذئب الجائع لا يخاف منظر النار . إن الذئب الجائع لا يخاف شيئاً : اللهيب لا يردعه ، كما أن كلاب الحيّ إن وُجدت فإنها لا تبعده ، لأنه جائع .. والذئب الجائع حيوان مخيف .

حدَّق عامر ببصره ، فاذا به يشاهد شَبَحاً يَثِب نحوه ، ونظر فإذا بالشبح ذئبٌ يكشّر عن أنيابه ، عيناه

محمّـرتان كالنيران المتقدة ، وقوائمه ترتجف، ومنظره العام يُظهره كالمصاب في عقله .

نظرة واحدة ألقاها عامر على الذئب الغضوب أدرك منها أنه أمام ذئب جائع أعماه الجوعُ عن كل اعتبار ، فهو لن يمتنع عن أذيّـة أي أنسان أو حيوان ، ومن الخـير إذاً معاملته باللين لا بالشدة .

وأسرع عامر إلى الشّـواء فانتزع منه قطعةً وألقى بها الى الذئب الهائج . وبأسرع من لمح البصر ابتلع الذئب ما ألقي إليه دون أن يمضغه ، ثم استعد لمهاجمة عامر. تحيّـر عامر من هذا الخطر المفاجىء وأخذ يلقي القطعـة تِلْـوَ الأخرى والذئب يتناول كلّ مـا يُلقى إليـه ويطلب المزيد . نظر عامر بحزن إلى الشواء وقد أخـذ يتناقص ، ثم نظر إلى الذئب وقد جلس يرقب كل حركة تبدو منه فإن أبطأ في إلقاء القطع الى فمه عوى وأظهر الغضب ، وان تابـع عامر إلقاء الشواء أظهر الذئب الرضى واستعد الى تقبل المزيد .

وأخذ عامر يفكر فيما سيحصل له عندما يأتي الذئب

على جميع الشواء .. هل من المعقول أن يكتفي الذئب بالشواء أم أنه سيغضب وسيعوي وسيثير على عامر جمهرةً من الذئاب تهاجمه وتقطع من جسمه تتمـّـــةً لوجبات طعامها !؟

ولْنفرضْ أن عامراً قدّم جميع الشواء الى الذئب ثم وُفـِّق في طرده من المكان .. فماذا سيحدث لعامر !!

أيبقى بدون طعام ويقدم شواءً باكمله الى ذئب جائع كاسر ؟

أيسمح آدميٌّ لذئب هو من أحطّ مـا في البراري من الحيوانات الآكلة للّحوم أن ينتصر عليه ؟

ألا يعتمد الانسان على ذكائه ويخلص نفسه من الخطرَين المحيطين به : خطر مهاجمة الذئب الجائـع له ، وخطر الجوع الفتاك به ؟

وامتدت يد عامر الى السكّين التي سلخ بها الغزال ، لقد كانت هـذه ملقاةً على بعد منه . مد يـده يحاول تناولها ولكنها كانت أبعد مما يتصور . تَبّـاً للسكين ما أبعدها !



جائعان في الصحراء عامر والذئب .. والغزال

إن من العبث الوصول إليها قبل لَفْتِ انتباه الذئب إليـــه .

نظر عامر نحو ناقته الجاثمة على بُعد عدة أمتار منه .. كانت بندقيته في « حوية »[1] الناقة . حَبّـذا لو يستطيع الوصول إليها . ألا ليت للنياق فهماً ! إذنْ لَساعدت الناقةُ صاحبها على احضار البندقية ، ومكنته من وضع حدٍ لمضايقة الذئب له .

تحسّـس عامر رداءه علّـه يجد فيه موسى أو أي شيء حاد يتقي به شر هــــذا الذئب ..

لا ، لم يكن بثنايا الرداء[2] شيء يصلح لمثل هذا !!

كانت يدُ عامر في أثناء هذا كلّـه تقطع قطعة الشواء تِلْـوَ الأخرى وترمي بها نحو الذئب . كانت يد عامر تغذّي الذئب بينما كان ذهنه يبحث عن طريقةٍ يتخلص بها منه قبل فوات الفرصة .

عامر ، أين حِيلك ؟

---

(١) الحوية : سرج الناقة .

(٢) الرداء : الثوب الليبي الخارجي ، وهو عبارة عن قطعــة قماش مستطيلة تلف حول الجسم .

أين عبقريتك ؟

وأين رباطة جاشك ؟

الذئب يسخَر منك وأنت سيّد من اختلَقَ الحيل ؟

الذئب الجائع يهددك وأنت كنت فيما مضى تصطادُ الصقر الطائر بِرَمْية حجر ؟ .

« حجر ... !

تذكّر عامر الحجارة.. فامتدت يده الى بعضها.. تناولها وقلّبها بين يديه . ما فائدة هذه الحجارة ولا مقلاع بيَدِ عامر يطلقها منه !

نظر عامر مَلِيّاً الى الحجارة كأنّه يفكر . نعم كان يفكر ، لأن الحجارة أداةٌ صالحة لاتقاء الخطر وستكون صالحة لخلاص عامر .

وفعلاً ألقى عامر الحجارة في النيران الى أن اشتدت حرارتها، فتناول أكبرَها حجماً بقطعة من القماش كان قد اقتدّها من ثوبه .. وألقى بالحجر الى فم الذئب المستعدّ لتلقي الشواء .

« شواء لذيذ .. هه ؟ » سأل عامر .

أما الذئب فلم يُجب.. لأنه أخذ يتدحرج على الرمال . عندئذٍ أسرع عامر الى بندقيته فأحضرها من حوية الناقة وبمقذوفٍ من مقذوفاتها أهلك الذئب وأمِنَ شره قائلاً :

« هذا جزاؤك يا لعين ، أتجرؤ على أن تقاسم عامراً زادَه وأنت دونه مقدرة ؟ »

عاد السكون الى الصحراء وما بها من مخلوقات ، فقام عامر الى بعض ما تبقّى من شوائه وأخذ ياكل منه. وكان يتلذذ باكل اللحم الطري ويشكر العناية الالهية التي أبعدت عنه شبح الجوع ، ياكل ويبتسم ما بين الحين والآخر ثم يتمتم :

ساقصّ حكايتي هذه على أول قرية أمرُّ بها ليعلم القوم أنه إذا جاع في الصحراء اثنان ، وكان أحدهما عامراً فعامر هو الفائز حتى وإن كان غريمه ذئباً جائعاً . وليعلم القوم كذلك ، أنه لا ضَيم على امرىء عرف كيف يلقى الخطوب بقلب ثابت .

الفهرست

● «مجموعة القصص الشعبي الليبي» فيها طرائف ونوادر، بعضها خفيف يهدف إلى التسلية، والبعض الآخر جدي يقصد إلى العبرة الأخلاقية الرفيعة.

● تمتاز ببساطة الأسلوب وحسن الأداء، فقد صيغت عباراتها بما يتلاءم وقدرات الفتيان، مع السعي للأخذ بيدهم نحو ترقية قدراتهم وتنميتها.

دار الفرجاني

طرابلس - ليبيا